الإرهاب بين الرفض والفرض

(فى ميزان الإسلام)

أ.د.عبدالحى الفرماوى

الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف

تمهيد :

من المفارقات العجيبة الغريبة: أن الإبادة الجماعية، والطغيان الجارف، والإذلال المقصود، الذى لم تسمح به إلا فى ظل ما يسمونه: النظام العالمى الجديد هذه الأيام - من دول تستخدم القوة الغاشمة فى فرض عقائدها ومذاهبها واستعلائها على غيرها من دول وشعوب ضعيفة، بدون اعتبار لأية مبادئ من الحق والعدل وحقوق الإنسان، مثلما يحدث للمسلمين على أرض البوسنة والهرسك، وما يعانيه الشعب الفلسطينى، وما يحدث -كذلك- للمسلمين: في بورما، وكشمير، والفلبين، وإرتريا، وأذربيجان، وغيرها، وغيرها.

أقول: من المفارقات أن هذا الذى يحدث لم نسمع من قال عنه أنه "إرهاب" مع أنه عين الإرهاب، والإفزاع، لمن نجا أو سمع - مجرد سمع- من المسلمين عن هذه الحملات الباطشة، التى يريدون بها الإبادة، أو التطهير العرقى، أو التنصير، أو .. أو .. إلى آخر ما يهدفون.

وكذلك من المفارقات العجيبة الغريبة: أن أجهزة الإعلام الغربية الصهيونية والصليبية، وكذلك: التابعة لها، تغض الطرف، وتصاب بالعمى عن الإرهاب العالمى السابق فلا تشير إليه من قريب أو من بعيد، وكأن شيئاً من هذا أو ذاك لا يحدث، وهى التى تنظر بآلاف المجاهر وأقوالها، بأسود المناظير وأخبثها، وتتنبأ بأسوأ النتائج لحوادث فردية، تقع هنا أو هناك فى بلاد المسلمين.

ومن المفارقات العجيبة الغريبة اللافتة للنظر، من جهة ثالثة: تزامن نسبة (الإرهاب) بهذا الصوت العالى، والضجيج المزعج، والإعلام العالمى الواسع إلى الإسلام.

تزامن ذلك: مع هذه المنظومة - التى لا يخطئ الناظر العادى فى رصدها - وهى منظومة: ضرب الإسلام - حتى لا تقوم له قائمة، بوصفه - كما يزعمون ويروجون - الخطر الأكبر، الذى يهدد الحضارة الغربية، والمارد الذى خرج من

قمقمه ليلتهم كل ما بناه الغرب فى سنوات طويلة من حضارة وديمقراطية وتقـــدم [1]، كما تروج "الميديا" الصهيونية المنتشرة فى كل عواصم الغرب [2] ..؟!!!!

(كلام إبراهيم نافع رئيس مجلـــس إدارة الأهــرام وهــو منشــور فــى يــوم ١٩٩٢/٥/٢٩).

وهذه المنظومة: يتعرض فيها الآن نحو ١٠ ملايين مسلم للذبح والقتل والتشويد فى ٣٧ دولة، حسب إحصائيات المنظمات الدولية [3].

وإذا كانت هذه المنظومة – كما تفيد الإحصائيات – فى دول غــير إســلامية أو غير عربية: فإن مخالبها أخذت تمتد إلى داخل معظم البلاد الإسلامية والعربية فــى الآونة الأخيرة.

وأصبحت نغمة الإرهاب كأنها تمهد لهذه المنظومة!! حيث لا نجد من يصــرح بمسيحية الإرهابيين من منظمة الجيش الجمهورى الإيرلندى..!! كما لا نجـد مــن يصرح بمسيحية مجرمى عصابات المافيا، وتجار المخدرات..!! ولا نجد – كذلك – من يصرح بـــ "موسوية" جرائم الصهيونية العالمية، أعداء البشر فى هذا الزمـــان، وكل زمان. إنما – وبكل خبث– يفردون ديننا وحده بدعوى القول بــــ "إســلامية الإرهاب الإجرامى" فى وقت خلت الدنيا أجمع من قول بمثله فى أى دين سواء..!! وبلغ بنا الأمر – حسبما يريدون– أن صارت الإسلامية فينا تهمة، يؤخـــذ بـــالظن فيها، بالهوية، والسمت، والزى، والسلوك [4]!!

إن هذه المفارقات، وتلك وما يحدث من طغيان غاشم فى ظل ما يســـمى بـــ "النظام العالمى الجديد" أمور تعمل على تكريس مبدأ القوة والعنف على أنه الخيـار الوحيد لفرض السلام، فى زمن بات فيه أمر اغتيال السلام بيد من يملكــون القــوة

---

(١) انظر: الفرصة السانحة.. تأليف ريتشارد نيكسون.. الرئيس الأمريكى السابق.

(٢) انظر: الصربيون. خنازير أوربا ص ١٨ وما بعدها للمؤلف.

(٣) إبراهيم نافع.. الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٤) د.بنت الشاطئ.. "قراءة فى ملف الإرهاب الدينى" الأهرام ١٩٩٣/٤/١٥م.

الغاشمة، وبقراراتهم فى المحافل الدولية الآثمة، حقيقة ماثلة للعيان. كمل تعمل هذه الأمور على تكريس مبدأ القوة والعنف على أنه الخيار الوحيد للدفاع عن الحقوق والحرمات والمقدسات كذلك.

وإذا كان ما قدمنا على المستوى العالمى، فإن الأمر جد مختلف عن ذلك بالنسبة للمستوى المحلى؛ حيث إنه: إذا كان العنف هو الخيار الوحيد والمفروض فى مواجهة أعداء الأمة دفاعاً عن الحقوق والمقدسات والحرمات، فإن العنف ليس بمفروض، كما أنه ليس الخيار الوحيد فى مواجهة أبناء الأمة، تصحيحاً للأخطاء، وصيانة للحقوق والمقدسات والحرمات.

ومع ذلك: ولأننا بصدد عنف واقع، ولأننا بصدد رصد أسبابه، وتشخيص علاجه، فلا يمنع أن نبدأ بحثنا بالحديث عن "الإرهاب".

ولكن..!! من الذى قال أو يقول: إن التدين هو سبب الإرهاب..؟ومن الذى قال أو يقول: إن علاج الإرهاب يكون بتجفيف منابع التدين..؟ ومن الذى قال أو يقول: إن مفاهيم الدين وقواعده وأحكامه تؤخذ من الصحف السيارة، أو من أفواه وتصريحات غير المختصين به والمتخصصين فيه..؟

ومن أجل تعريف الإرهاب، وبيان أسبابه، ووصف علاجه، ومن أجل تجلية وتوضيح مبادئ هذا الدين، ومن أجل الحفاظ على سلامة أبناء الأمة، كان هذا البحث الذى يقدم وجهة نظر إسلامية فى الموضوع، مستمداً أدلته عليها، من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ، والذى يؤكد فيه – صاحبه – على أن الإسلام: يرفض كل عنف مدمر، وقوة غاشمة، ويجرّم ذلك ويحرمه، حتى ولو أراد بها صاحبها خدمة الإسلام، كما يؤكد فيه – كذلك – على أن الإسلام يفرض على كل مسلم امتلاك القوة البناءة النافعة، ويحث على ذلك، ويدعو إلى ذلك، كل من أراد خدمة الإسلام، ورفع رايته.

صور الإرهاب وأدواته

يتخذ الإرهاب فيما يرى الناس صوراً شتى، ويستعمل أدوات عديدة، تساعد أصحابه على: تحقيق غاياتهم والوصول مقاصدهم.

وهذه الصور والأدوات: منها ما يكون مادياً، ومنها ما يكون معنوياً، فمن الصور المادية: اختطاف الطائرات، وحجز الرهائن، وزرع المتفجرات، وقتل الأبرياء، واحتلال الديار، وكذلك الطرد الجماعى منها، واغتصاب النساء، وجرائم القتل المنظمة، والسرقات الكبيرة أو الصغيرة التى تستهدف بث الرعب وإشاعة الخوف فى النفوس، أو التى تستهدف مرافق الدولة الحيوية، كالمصالح العامة، أو المصارف أو المحلات الكبيرة، وكذلك الجرائم الاقتصادية المنظمة التى تستهدف تحطيم اقتصاد الدولة، وإنهاك قواها، وكذلك جرائم التخريب بواسطة أعمال العنف، التى تستهدف المنشآت الحيوية، والمؤسسات الخدمية، مثل: الطاقة الكهربائية، والبريد، والمواصلات، وغير ذلك مما يعد شريان الحياة اليومى للفرد والجماعة.

وكذلك: اعتقال الأبرياء، وإلقائهم فى غياهب السجون، دونما ذنب أو جريمة، وتعذيبهم، والتنكيل بذنوبهم، وإلقاء الرعب فى قلوبهم. إلى غير ذلك من الصور التى تخيف الآمن وتفزعه بغض النظر عن مصدر هذا الإرهاب وغايته. ومن الصور المعنوية: كل الوسائل والأساليب والعمليات التى تزعزع العقيدة، وتزرع الشك فى النفوس، وتضعف الإيمان فى القلوب. وتقتل القيم، أو تستبدل بها مفاهيم فاسدة، وأفكاراً منحلة هدامة.

وكذلك: الصور التى تشيع الفاحشة، وتساعد على نشر الفساد، وتضليل العقول، ومحاربة الفكر السليم عن طريق سيطرة المنحرفين والمارقين والمضللين على أجهزة الإعلام والتوجيه والتأثير.

وكذلك: امتلاك القوة المدمرة، واستعمالها فى التخريب وإفساد البلاد، وإذلال العباد، أو فرض الرأى وبسط النفوذ والهيمنة على الشئون الخاصة للآخرين عن طريق التهديد باستعمال هذه القوة فى التخريب والتدمير، وكذلك: تفوق الظالمين فى

المجال العسكرى، وتقدمهم فى مجال الإنتاج الصناعى والزراعى، وبراعتهم فـــى العلوم والفنون، وغير ذلك مما يساعدهم على البطش بالضعفاء، وتجويع الفقـــراء، وإذلال المتخلفين عنهم.

وكذلك: التصويت فى المحافل والمؤتمرات الدولية ضد الضعفاء والمظلوميـــن، لصالح الأقوياء والطغاة، دونما مراعاة لحقوق، أو تحقيق العدالـــة. ومـــن الأدوات المعنوية كذلك: تكميم الأفواه، ووأد الحريات، وإهدار الحقوق..إلخ.

وكذلك: فرض الآراء – حتى وإن كانت صحيحة – بالقوة، وإقناع الغـــير بـــها قسراً، وإلزامهم بالعمل بها جبراً. إلى غير ذلك من الصور، وعلـــى حســـب هـــذه الصور، وتلك الأدوات يكون موقف الإسلام من الإرهاب، ولكن ما الإرهاب..؟

هذا ما يوضحه البحث – بعون الله تعالى – فيما يلى:

تعريف الإرهاب

أ- الإرهاب فى اللغة:

هو الإفزاع والإخافة. يقال: أرهبه، ورهّبه أى أخافه وفزّعه، كما يقال استرهبه، أى أخافــه – كذلك – وفزّعه، حيث استدعى رهّبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله عز وجل ﴿ واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ [١] أى: أرهبوهم، وخوّفوهم، وفزّعوهم[٢].

ب – الإرهاب فى الفكر المعاصر :

لقد أخذ مفهوم الإرهاب يتبلور فى الأذهان بعد قيام الثورة الفرنسية، وما رافقها من أعمال عنيفة ارتكبت بغية تصفية أعداء الثورة، وإرهاب الآخرين للحيلولة دون محاولة التصدى لها، والوقوف أمام مسيرتها، وكان ذلك ابتداء من ١٩٧٢/٨/١٠م.

ولمـــا شـــاع الإرهاب، واشتد خطره، واتسعت دائرته، وتعددت صوره تعالت الصــيحات إلى ضرورة التصدى له، وتحديد مفهومه، وبيان أشكاله وصوره، وهنا تــنادت الهيــئات، وعقدت المؤتمرات، وطرحت هذه الظاهرة على مائدة البحث، وظهر – حينئذ – ما سمّى بين الباحثين بمشكلة "تعريف الإرهاب".

ولعل أقرب التعاريف له كان فى مفهوم الباحثين، أنه عبارة عن العمليات العنيفة المنسقة المادية أو المعنوية، التى تحوى نوعاً من القهر للآخرين، بغية تحقيق غاية معينة [٣].

---

[١] سورة الأعراف. الآية ١٠٥.

[٢] انظــر لســان العــرب لابــن منظور مادة (رهب)، الصحاح للجوهرى، والقاموس المحيط للفيروزبادى (باب الباء، فصل الراء).

[٣] صباح أكرم "تحديد أفضل الوسائل والأساليب لمكافحة الإرهاب حماية (بحث مقدم إلى مجلس وزراء الداخلــية العرب فى تونس ١٩٨٦م انظر الدين والإرهاب ص ٣، من منشورات منظمة المؤتمر الشعبى – بغداد ١٩٨٨م.

جـ - الإرهاب فى المفهوم الإسلامى.

إن الأمر جدّ مختلف فى النظرة الإسلامية للإرهاب - وكذلك فى تعريفه - عنها عند من تعرضوا لهذا الموضوع فى مؤتمراتهم، وأبحاثهم.

حيث إن من يراجع مصادر التشريع الإسلامى، يجد بكل وضوح:

١-أن مفهوم الإرهاب واضح ومعروف منذ نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ .

٢-أنه لا إرهاب من مسلم لمسلم فرداً - كان هذا أو ذاك - أو جماعة، أو على أقل تقدير، هذا ما ينبغى أن يكون، إنما الإرهاب لأعداء المسلمين فقط.

٣-أن الإسلام لا يعترف إلا بالأدوات البناءة كوسائل للإرهاب، أما الأدوات الهدامة فلا يعترف بها كوسائل للإرهاب، بل يسميها بأسمائها الحقيقية - كما سنرى قريباً - ويحرمها ويجرمها، ويضع العقوبات الكفيلة بقطع دابرها.

٤-أن الإرهاب بالأدوات البناءة فريضة على جماعة المسلمين، وينبغى عليهم امتلاك أدواتها المادية والمعنوية، لإخافة أعدائهم، ومنعهم من إيذائهم، أو الحيلولة بينهم وبين تعريفهم الناس بدينهم، ونشر هديه وتعاليمه بين العالمين. حيث يقول تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ [١]. كما يقول تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ [٢].

٥-إن على المسلمين امتلاك القوة وحين استعمالها، والله سبحانه وتعالى يتولى إلقاء الرعب والخوف فى قلوب أعدائهم. حيث يقول تعالى ﴿سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ [٣].

---

[١] سورة الأنفال، الآية ٦٠ .

[٢] سورة الحشر، الآية ١٣ .

[٣] سورة الأنفال، الآية ١٢ .

ويقول تعالى ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ [1].

ويقول تعالى فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ [2].

وعلى ذلك فتعريف الإرهاب فى المفهوم الإسلامى، حسبما نراه:

هو إفزاع الأعداء، وتخويفهم، وإلقاء الرعب فى قلوبهم، بسبب امتلاك أدوات التقدم والتفوق المادى والمعنوى، مما يساعد على عرض المبادئ، ونشر الأفكار، دون تصدٍّ لأصحابها أو اعتداء عليهم.

وكان هذا التعريف. لأن عرض مبادئ الإسلام فريضة. ولأن صيانة الحرمات والمقدسات فريضة، ولأنه لا يتم ذلك إلا فى ظل تقدم المسلمين وتفوقهم، ورهبة الأعداء من التصدى لهم، أو منعهم من ذلك أو الاعتداء عليهم. ولأنه، "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ، فكان امتلاك القوة وإرهاب الأعداء بها واجباً. وكل هذا: ندلل عليه، ونفصل القول فيه فى الصفحات التالية.

مادة الإرهاب فى القرآن الكريم

وردت فى القرآن الكريم عدة ألفاظ تدور معانيها فى فلك المعنى اللغوى لمفهوم موضوعنا هذا ، ومن ذلك:

١- الخوف:

وقد وردت مادته فى القرآن الكريم [3]: مائة وثلاثاً وعشرين مرة (١٢٣)، وكثير من هذه المرات قريب من موضوع بحثنا.

ومن ذلك -على سبيل المثال- قوله تعالى ﴿ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحشر، الآية ١٢ .

(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمرحوم محمد فؤاد عبدالباقى.

بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ [1].

٢- الرعب:

وقد وردت هذه المادة فى كتاب الله تعالى خمس مرات فقط [2]، وكلها تدور فى إطار المعنى اللغوى لموضوعنا، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ [3].

٣- الرهبة:

وقد وردت هذه المادة فى كتاب الله تعالى ثمان مرات فقط [4].

وكلها تدور حول موضوعنا هذا، وسوف نستعرض آيات هذه المادة بالتفصيل بعد قليل.

٤- الرَّوْع:

وقد وردت هذه المادة مرة واحدة فقط فى القرآن الكريم، وذلك فى قوله تعالى ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ﴾ [5]، أى: الخوف أو الفزع، وفى حديث الدعاء: اللهم آمن روعاتى [6].

٥- الفزع:

وقد وردت هذه المادة فى كتاب الله تعالى: ست مرات، وهى تدور فى إطار مفهوم الرهبة والخوف، ومن ذلك -على سبيل المثال- قوله تعالى ﴿ وهل أتاك نبؤ

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٦.

(٢) انظر المعجم المفهرس.

(٣) سورة الكهف، الآية ١٨.

(٤) انظر المعجم المفهرس.

(٥) سورة هود، الآية٧٤.

(٦) انظر تفسير القرطبى ٧٢/٩ لسان العرب مادة "روع".

الخصم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط﴾[١].

وسوف نركز على مادة الإرهاب فقط، وهى التى وردت فى آيات القرآن الكريم وسوره على النحو التالى:

أولاً: فى السور المكية:

١-فى قوله تعالى ﴿ قالوا يا موسى إما أن تُلقِيَ وغما أن نكون نحن الملقين، قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾[٢].

٢-فى قوله تعالى: ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ [٣].

٣-فى قوله تعالى: ﴿ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذالك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ [٤].

٤-فى قوله تعالى: ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون ﴾ [٥].

٥-فى قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾[٦].

---

[١] سورة ص، الآية ٢١ ، ٢٢.

[٢] سورة الأعراف، الآيتان ١١٥ ، ١١٦.

[٣] سورة الأعراف، ١٥٤.

[٤] سورة القصص، الآيتان ٣١، ٣٢.

[٥] سورة النحل، الآية ٥١.

[٦] سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

ثانياً: فى السور المدنية:

١-فى قوله تعالى: ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكـــم وأوفــوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ [١].

٢-فى قوله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ [٢].

٣-فى قوله تعالى: ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلـــك بأنـــهم قــوم لا يفقهون ﴾ [٣].

وإذا كانت بعض هذه الآيات تفرض الإرهاب بأدواته البناءة، فإن الإسلام بكـــل تعاليمه وأحكامه، يرفض ويجرم الإرهاب، بالأدوات الهدامة وبيان ذلك فيما يلى:

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة الحشر، الآية ١٣.

الإرهاب المرفوض

إذا كان الإرهاب ناتجاً عن استعمال أدوات هدامة، ويتخذ صوراً تخريبية للعباد أو للبلاد، للعقول أو للأجسام، للممتلكات الخاصة أو للمرافق العامة، فهو مرفوض. وذلك لأن هذه الأدوات والصور وسائل سلبية وليست إيجابية، تهدم ولا تبنى، تخيف ولا تؤمن، تفسد ولا تصلح، تضر ولا تنفع، ولأن ذلك ليس من أهداف الإسلام القريبة أو البعيدة، فهى: محرمة فى الإسلام على مستوى الفرد والجماعة والأمة. ولأنها صور وأدوات ووسائل ضارة، ولأنها - كذلك فى نظر الإسلام - محرمة.

فقد وضع لها المشرع -سبحانه- العقوبات المناسبة التى يكفل التطبيق السليم الأمين الجاد لها، قطع دابر هذه الصور والأدوات والوسائل الهدامة من المجتمع الإسلامى بل المجتمع البشرى كله، تحقيقاً للأمن وإشاعة للطمأنينة، ونشراً للسلام فى ربوع العالمين.

ومن هذه الأدوات [1]:

١- البغى:

حيث حرمه المولى -سبحانه- ونهى عنه فى مثل قوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾[2].

٢- الطغيان:

حيث نهى عنه المولى وحرمه فى مثل قوله تعالى: ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ﴾ [3].

---

[1] انظر صناعة السلام فى الإسلام ص ٣٨ ، ٣٩ للمؤلف.

[2] سورة النحل، الآية ٩٠.

[3] سورة هود، الآيتان ١١٢ ، ١١٣.

كما توعد بشديد العقاب عليه فى مثل قوله تعالى: ﴿ إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ﴾ [1].

٣ـ الظلم:

حيث توعد بعذاب الظالمين فى مثل قوله تعالى: ﴿ ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيرا ﴾ [2].

وهدد الظالمين فى مثل قوله تعالى: ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ [3] وفى مثل قوله تعالى: ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ [4].

كما حرمه صراحة فى مثل الحديث القدسى "يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا" [5].

٤ـ العدوان:

وقد حرمه الإسلام: حسيا كان، كما فى قوله تعالى: ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [6]. أو معنويا، كما فى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [7].

---

(١) سورة النبأ، الآية ٢٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية ١٩.

(٤) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٦٥.

(٦) رواه مسلم، كتاب السيرة باب "تحريم الظلم" .

(٦) سورة البقرة، الآية ١٩.

(٧) سورة المائدة، الآية ٨٧.

٥- الخيانة:

وقد حرمها سبحانه وتعالى كذلك، ونفّر منها فى مثل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾ [١]. وفى مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يحب من كان خواناً أثيما ﴾ [٢]. وفى مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [٣].

٦- الغدر:

فقد حرمه الإسلام ونفر منه كذلك، فى مثل قوله تعالى: ﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون ﴾ [٤].

وفى مثل ما أخرجه البخارى فى صحيحه، أن النبى ﷺ قال: "أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. ومن كانت فيه خصلة منهم، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها"[٥]. وكذلك: فى مثل قوله - ﷺ - "لكل غادر لواء، ينصب يوم القيامة، يعرف به" [٦].

قال الإمام ابن حجر [٧] وفى الحديث غلظ تحريم الغدر من كل الناس، ولا سيما من صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرورة أى خلق كثير، ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء.

---

[١] سورة يوسف، الآية ٥٢.

[٢] سورة النساء، الآية ١٠٧.

[٣] سورة الأنفال، الآية ٥٨.

[٤] سورة الأنفال، الآيتان ٥٥ ، ٥٦.

[٥] كتاب الجزية والموادعة، باب "وإثم من عاهد ثم غدر".

[٦] رواه البخارى، نفس المرجع السابق.

[٧] فتح البارى ٢٨٤/٦.

٧- القتل:

حيث يقول تعالى: ﴿ من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[1].

وحيث يقول سبحانه ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ [2].

٨- السرقة:

حيث يقول تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ [3].

٩- الحرابة:

حيث يقول سبحانه: ﴿ إنما جزاء الذي يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ [4].

جميع الصور والوسائل والأدوات الهدامة التى تشيع الخوف فى المجتمع، وترهب الآمنين فيه، وتَحُول بينهم وبين الحياة المطمئنة، والتى تعوقهم عن حسن خلافتهم لله تعالى فى الأرض، وحسن عبادتهم له سبحانه، وإتقانهم لعمارة الكون.

ومن هنا فالإسلام لا يبيح لأى سبب من الأسباب -بل يحرم- كل هذه الوسائل والصور الهدامة السلبية المخزية. كما أنه يسميها بأسمائها الحقيقية، كالحرابة والبغي والعدوان ..إلخ. ويضع فى نفس الوقت العلاج الناجح عن طريق العقوبات وغيرها لقطع دابرها من المجتمعات، ووقاية الناس من أخطارها وشرورها.

---

[1] سورة المائدة، الآية ٣٢.

[2] سورة النساء، الآية ٩٣.

[3] سورة المائدة، الآية ٣٨.

[4] سورة المائدة، الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

وعلى ذلك: فالإرهاب بمعنى الإخافة. سواء أكان منظماً أم غير منظم، وسواء أكان سافراً حين يأخذ شكل القتل والتعذيب ونحوه من أساليب القمع، أم مستتراً حين يأخذ شكل الضغط الاقتصادى، والاجتماعى، وسواء أكان من الحاكمين أم من المحكومين، محرم بجميع أصنافه حرمة قاطعة، لأنه يدخل فى عموم النصوص المحرمة لدم المسلم وعرضه وماله. بل يذهب الإسلام أبعد من ذلك فى تأمين الناس، وطمأنتهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، صيانة لحقوقهم، وجلباً لراحتهم، ومساعدة على حسن إنتاجهم وتفوقهم. وذلك: حينما يحرم ترويع المسلم وإخافته، وإن كان ذلك على سبيل المزاح، لما فيه من الإيذاء [١]. ومن ذلك ما روى عن عامر بن ربيعة -رضى الله عنه- أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: "لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم، ظلم عظيم" [٢]. بل الوعيد الصريح والتهديد الواضح فيمن أخاف المؤمن وفزعه. فعن عبدالله بن عمر -رضى الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: "من أخاف مؤمناً، كان حقاً على الله أن لا يؤمّنه من أفزاع يوم القيامة" وهذا الترويع: عام يشمل الوسائل المادي والمعنوية العلنية والمستترة. كما فى حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[٣].

وكما فى الحديث الذى رواه الإمام الطبرانى: عن عبدالله بن عمر: أن النبى ﷺ قال : "من نظر إلى مسلم نظرة تخيفه فيها، بغير حق أخافه الله يوم القيامة" [٤] .

---

[١] انظر فى ذلك ، كتب السنة.

[٢] رواه: الطبرانى فى الكبير، ورواته: ثقات، الترغيب والترهيب ٣/٤٨٣.

[٣] رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهى عن الإشارة بالسلاح ، رواه الترمذى، كتاب الفتن، باب: ما جاء فى إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح.

[٤] انظر: الترغيب والترهيب ٣/٤٨٤.

وقد ترتب على هذا الترويع في التشريع الإسلامي أحكام لقطع دابره من المجتمع، والحماية من أخطاره. ومن ذلك. أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنكر على امرأة مغيبة، كان يدّخل عليها، وأرسل في طلبها فقيل لها: أجيبي عمر، قالت: ويلها، مالها ولعمر، فبينما هي في الطريق إليه، ضربها الطلق، فدخلت داراً، فألقت ولدها، فصاح صيحتين، ومات، فاستشار عمر الصحابة، فأشار عليه بعضهم، أن ليس عليك شئ، إنما أنت والٍ ومؤدب. فقال عمر: ما تقول يا على؟ فقال على -رضي الله عنه- "إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأوا وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك أرى أن ديته عليك، لأنك أنت أفزعتها، فألقت ولدها من سبيلك. فأمر عمر عليا أن يقيم عقله على قريش [١].

وهكذا.. يتضح لنا أن ترويع المسلم وإرهابه بأي صورة أو وسيلة من وسائل الإرهاب محرم ومرفوض في نظر الإسلام، لما فيه من إلحاق الأذى بالناس، وإزعاجهم، وقضّ مضاجعهم والحيلولة بينهم وبين حسن أدائهم لرسالتهم في هذه الحياة.

وإذا كان الإسلام -كما رأينا- يرفض الإرهاب عن طريق الهدم والتخريب ، وإذا كان -كذلك- يحرم ويجرم كل هذه الوسائل والأدوات والصور التي تؤدي إلى الهدم والتخريب في البلاد أو العباد ، فإنه -في الوقت نفسه- لا يرضى لأتباعه أن يكونوا أذلاء، ضعفاء، لا يرهبهم أعداؤهم ، عاجزين عن نشر دينهم، وممارسة عقائدهم وشعائرهم، وصيانة أنفسهم، وحرماتهم، ومقدساتهم، وبلادهم، وممتلكاتهم، ولذلك: فقد فرض عليهم امتلاك أدوات القوة والعزة والمنعة والتفوق، امتلاكاً يصل بهم حد إرهاب أعدائهم.

ويوضح البحث - بعون الله - ذلك فيما يلي:

---

[١] تلخيص الخبير ٣٦/٤ "نقلاً عن البيهقي في حديث سلام عن الحسن البصري".

الإرهاب المفروض

نعم إذا كان الإسلام يرفض الإرهاب في صوره المدمرة، وبأدواته وأساليبه الهدامة، كما رأينا: فلا يعني هذا أنه يريد لأتباعه أن يعيشوا في ضعف وخنوع، أو تبعية ومذلة، في عالم قد تسوده أو تشيع فيه هذه الصور التي يحرمها، والأدوات التي ينفر منها أتباعه منها، وبالتالي تقل هيبتهم بين الأمم، وتتدنى منزلتهم في عالم لا يحترم إلا الأقوياء ولا يسمع إلا من الأغنياء، ولا يحني هامته إلا للتفوق والعلماء.

إنما يريد الإسلام لأتباعه أن يكونوا على القمة في كل شئ يعلي قدرهم، ويساعدهم على تحقيق رسالتهم ، إذ يريدهم علماء، بل على أعلى درجات العلم، وفي كل صوره ومجالاته ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [١]. ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [٢]. ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [٣].

كما يريدهم أقوياء، بل على أعلى درجات القوة، وفي كل صورها ومجالاتها ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ [٤]. ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ [٥]. ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [٦].

---

[١] سورة الزمر الآية ٩.

[٢] سورة العنكبوت الآية ٤٣.

[٣] سورة فاطر الآية ٢٨.

[٤] سورة القصص الآية ٢٦.

[٥] سورة هود الآية ٥٢.

[٦] سورة الأنفال الآية ٦٠.

ويريدهم أغنياء بل على أعلى درجات الغنى، وفى كل صوره ومجالاته ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ [١]. وفى الحديث الشريف "إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" [٢]. ويجعل النبى ﷺ هذه الأمور السامية التى يدعو الإسلام أتباعه إلى امتلاكها، والتحلى بفضائلها -غاية يسأل ربه- وهو يعلمنا نوالها، إذ يقول "اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى" [٣].

وبعبارة واضحة جامعة: يريد الإسلام لأتباعه -كما ذكرنا- أن يكونوا على القمة فى كل شئ يعلى قدرهم، ويساعدهم على تحقيق رسالتهم. وما كل ذلك: إلا لأن هذه الرسالة كبيرة وجليلة ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾[٤].

وبالتالى فهى تحتاج ممن يحملها وينشرها، أن يكونوا على قدرها ومستواها ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون على المنكر وتؤمنون بالله﴾[٥]. ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [٦]. ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [٧].

ولا غرابة أن يطالبهم الإسلام بامتلاك كل ما يعينهم على تأمينهم فى نشر رسالتهم، وتبليغها للعالمين.

ولا غرابة أن يطالبهم الإسلام بامتلاك القوة، التى تجعلهم مرهوبى الجانب، أمام أعداء رسالتهم، والمناوئين لها، والمحاربين لنشرها، وتبليغها للعالمين، بل لا غرابة

---

[١] سورة الضحى الآية ٨.

[٢] رواه البخارى، كتاب: الجنائز، باب: رثاء النبى ﷺ سعد بن خولة.

[٣] رواه مسلم، كتاب: الذكر، باب: الثغور من شر ما عمل ..إلخ.

[٤] سورة التوبة الآية ٣٣.

[٥] سورة آل عمران الآية ١١٠.

[٦] سورة البقرة الآية ١٤٣.

[٧] سورة الأعراف الآية ١٨١.

أن يطالبهم الإسلام بامتلاك الأدوات البناءة: مهابة الجانب، والتى ترهب أعداءهم، وتمنعهم من التصدى لنشر رسالتهم، كما تبعدهم عن الاعتداء عليهم، وعلى حرماتهم ومن هنا. فلا نكون مغالبين، إذ قلنا: إن امتلاك المسلمين للأدوات التى تحقق لهم ذلك: يكون مفروضاً عليهم، أخذاً من قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾[1].

ولا يمنع أن نشير هنا إلى هذه الأدوات، التى يفرض الإسلام على أتباعه امتلاكها لإرهاب أعدائهم، سواء أكانت مادية أم معنوية. فمن ذلك:

١- امتلاك الثقة:

أى: امتلاك الثقة بالنفس، وعدم تسرب الوَهَن والضعف إليها، وقد ركز الإسلام على ذلك بكل وضوح. حيث نهى أتباعه عن اهتزاز ثقتهم بأنفسهم فى مثل قوله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [2].

كما يعمل على تثبيتهم، وتقوية نفوسهم وعزائمهم، فى مثل قوله تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [3]. وحيث حجَّم قدْر أعدائهم، وهوَّن من شأنهم، فى مثل قوله تعالى ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ﴾ [4].

كما أكد على أن النصر للمؤمنين على أعدائهم، فى مثل قوله تعالى ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [5]. ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٩.

(٣) سرة يونس الآيتان ٦٢ ، ٦٣.

(٤) سورة النور الآية ٥٧.

(٥) سورة الروم الآية ٤٧.

يقوم الأشهاد﴾ [١]. وكل ذلك يعطى الثقة الكاملة للمؤمنين، ويزرع فى نفوسهم القوة الحقيقية التى تمكنهم من أداء رسالتهم، وتبعد عنهم شبح الحرب النفسية، مهما تجددت وتلونت أساليب هذه الحروب، وتكسبهم هذه الثقة المهابة فى عيون عدوهم؛ بل ترهب منهم أعداءهم، وتعينهم -دونما عائق- إلى عمارتهم للكون، وحسن خلافتهم لله تعالى ونشر العدل وبسط السلام فى ربوع الدنيا.

١٠- إحراز القوة:

والقوة المطلوب امتلاكها لإرهاب أعداء المسلمين هى القوة فى كل شئ.

نعم .. القوة فى الجسم، وفى العقل، وفى الابتكار وفى الإنتاج، وفى التصنيع، وفى الزراعة، وفى الطب، وفى الذرة، وفى، وفى...إلخ. وبعبارة عامة امتلاك القوة فى كل ما يساعدنا على إرهاب أعداء المسلمين، ومنعهم من إعاقتهم المسلمين عن نشر رسالتهم، وبسط السلام والعدل فى دنيا الناس أجمعين.

والقوة المطلوبة: تكون كماً، وتكون كيفاً ، تكون كماً فى كل شئ، كما أشرنا، وتكون كيفاً: بأن تكون على أفضل وأحدث وأكثر ما تكون تقدماً وتفوقاً. وذلك هو الذى يفهم ويؤخذ من تنكير وإفراد كلمة (قوة) فى قوله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ [٢]. حيث إنّ التنكير والإفراد فى هذه الكلمة يفيدان التعظيم والتكثير. أى تفيد الآية الكريمة أن القوة المطلوبة والمفروض على المسلمين امتلاكها وإعدادها ينبغى أن تكون على أكمل وجه، وأفضله، وأعلاه شأناً وقدراً، كما ينبغى أن تكون فى كل المجالات، وعلى جميع الصور لدرجة أن تصبح هذه القوة بسبب شمولها لجميع الجوانب، وتفوقها فى جميع الصور والمجالات مخيفة، ومرهبة لأعداء الله، وأعداء الناشرين لدينه، المبلغين لهدايته وتعاليمه، وكذلك مخيفة ومرهبة لكل من تسول له نفسه أن يعاديها يوماً ما، وعلى أى شكل

---

[١] سورة غافر الآية ٥١.

[٢] سورة الأنفال الآية ٦٠.

ومرهبة لكل من تسول له نفسه أن يعاديها يوماً ما، وعلى أى شكل من الأشـــكال، وفى أى مكان من الأماكن.

١١- توافر الاعتدال:

وهذا الشرط لا يتوافر إلا فى ظلال: فقه المسلمين الواعى بدينـــهم، وتبصرهـــم لروحه، واستنارتهم بهديه وتعاليمه، وفهمهم لعدله، وبصرهم بِوَسَطِيَتِه، والتزامـــهم باعتداله، وتطبيقهم لعدالته ، وهذا هو ميزان الإسلام ﴿فاستقم كما أمرت ومن تـــاب معك ولا تطغوا إنه بما تعلمون بصير ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ (١).

والشرع هو الذى يهدى الأمة إلى الفقه بهذا الشرط، والالتزام بهذا الميزان ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ (٢). وتوافر هذا الشرط، ووجود هذا الميزان:

أ- يقى المسلمين الغلو والشطط، ويحمى أفرادهم وجماعاتهم مـــن الانحـــراف، إفراطاً أو تفريطاً. وذلك يجنبهم الظلم للضعفاء، ويبعد عنهم شـــبح الخـــوف مـــن الغاشمين، بل يكسبهم -إلى جانب امتلاك المسلمين، أشياء أخرى- الريادة والزعامة للعالمين. وهذا هو وصف المسلمين، الذى جعله الله علامتهم ﴿ وكذلك جعلناكم أمـــة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ (٣).

ب- يكسبهم المهابة فى صدر أعدائهم، لأنهم يملكون قوة ردع الطغاة، كما ينزع الوهن والخوف من قلوبهم، لأنهم من الفاهمين لدينهم، المستنيرين بهديه، الملتزمين بعدله، المطبقين لشرعه وعدالته، الواثقين فى نصر الله لهم، الذين لا يرهبهم بطـــش فيخافون، ولا يغريهم ضعف فيظلمون، إلى غير ذلك من الأدوات.

---

(١) سورة هود الآية ١١٢ ، ١١٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣.

وإذا كان هذا هو المفهوم الذى يفرضه الإسلام على أتباعه ويطالبهم بامتلاك أدواته، فهل فهم المسلمون ذلك ..؟ وهل واقعهم المعاصر يشهد لهم -أو يبشر- بذلك..؟!

هذا ما نحاول -بعون الله تعالى- بيانه فيما يلى:

العنف

أسباب وعلاج

أ- تمهيد:

إن الواقع فى بلاد المسلمين اليوم -وبكل أسف يموج بتيارات العنف والعنف المضاد، مما جعل وسائل الإعلام فى كل الدنيا تتبارى فى الحديث عنه، وكأنه لا عنف أبداً فى بلاد الدنيا سوى فى بلادنا بل أخذت تصور الأمر على أنه لا عنف إلا عند المسلمين فقط كما رأينا سابقاً.

وصار هذا الأمر -فيما يبدو- صارفاً للناس عن ديننا، وهذا ما يريده أعداء الإسلام؛ بل صار هذا الأمر -فيما أرى- صارفاً لديننا عنا؛ ومع ذلك: أؤكد -جازماً- أن هذا العنف الذى يبدو على سطح حياتنا أمر طارئ، بولغ فى تضخيمه، وسوف يزول -بعون الله- إلى غير رجعة.

ومن الجدير بالذكر أن نشير -قبل البدء فى الحديث عن أسباب العنف الواقع فى زماننا هذا وعلاجه - إلى عدة ملحوظات هامة.

١- أن عدم امتلاك المسلمين لأدوات التقدم البناءة، التى تمكنهم من إرهاب عدوهم ونشر دينهم، والدفاع عن حرماتهم، ومقدساتهم: يعود إلى غياب الإسلام كنظام شامل عن أمور حياتهم، وكذلك: غيابهم هم عن الإسلام.

٢- أن الحادث الآن على الساحة العربية والإسلامية -مما يتصل بموضوعنا إنما هو من باب : "العنف" أو "الإرعاب" ولا علاقة له "بالإرهاب" المطلوب من قريب أو بعيد.

٣- أن حديثنا عن العنف هنا يشمل الساحة العربية والإسلامية، ولا يخص بلداً بعينه، وإن كنا نمثل أحياناً ببلد أو بآخر.

٤- أن كثيراً من الراصدين لحركة العنف فى مصر، فى الآونة الأخيرة أشار بأصابع الاتهام إلى الصهيونية العالمية، وغيرها ممن لهم مصلحة فى تخريب

اقتصاد مصر، وإشعال نار الفتنة والعداوة بين أبنائها، وبالذات: جهاز "الموساد" الإسرائيلى.

ومن هؤلاء على سبيل المثال: المفكر الفرنسى روجيه جارودى، والأستاذ فهمى هويدى، والأستاذ سلامة أحمد سلامة وغيرهم.

٥- أننا سنفترض جدلاً -ونحن لا نملك إلا أن نفترض، إذ ليست بين أيدينا أدلة تجعلنا لا نفترض- أن الشباب المسلم هو الذى يرتكب حوادث العنف التى تنبؤنا بها أجهزة الإعلام ، وفى ظل هذا الافتراض: نناقش الأسباب ووسائل العلاج.

٦- إننا حين نناقش هذه الظاهرة، لا ينبغى أن يُفهم منها إقرارنا لها وموافقتنا عليها حين نتلمس ذلك لإيجاد الحلول لها، والبحث عن وسائل لإنقاذ البلاد والعباد من مغباتها ، بل إننا نرفضها وندينها، لأنها تتم بوسائل هدامة يحرمها الإسلام، ويحرمها فى ذاتها، ولأنها كذلك تؤذى الأبرياء، وتفزع الآمنين.

ب - الأسباب:

إن تحديد هذه الأسباب يحتاج إلى دراسات، متخصصة، متأنية، تعتمد على استقراء الواقع، وتحليل ظاهرة العنف بالوسائل العلمية التى تعتمد على البيانات والمقدمات السليمة، لتصل على نتائج سليمة، ولا يمنع أن نشير فى هذه العجالة إلى بعض ما نراه على النحو التالى:

١-إن غياب الإسلام كنظام ينير للناس دياجير ظلام حياتهم، ويأخذ بأيديهم إلى التفوق والرفعة، وحسن عمارتهم للكون، وينقذهم من التبعية الذليلة لأعدائهم هو -فيما نرى- من أهم الأسباب التى ساعدت وتساعد على وجود العنف من بعض من يعشقون عودة الإسلام كنظام مهيمن على الحياة والأحياء، ويتعجلون ذلك، ويرون أن الخيارات -غير العنف- سدت فى وجوههم، وأن البدائل منعت عنهم، وحرمت عليهم.

٢-هذه الحروب الشرسة على عقائد الإسلام وتعاليمه، والإبادات الجماعية للمسلمين، دونما دفاع عن الإسلام، أو نصرة للضعفاء من حكام المسلمين وأولى الأمر فيهم، بل سكوت وتخاذل، وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو من بعيد. فى الوقت الذى يجدون فيه أنفسهم مكبلين مقيدين، لا يستطيعون عن الإسلام دفاعاً، ولا لأهله الضعفاء نصرة.

ولأنهم شباب، ولديهم حماس، وغيره، وطاقات، ولا بد أن يستغل هذا وذاك فيما هو صالح، ولأنه لا يستغل، ولأنهم لا يتنفسون: فإنهم لا يجدون غير العنف سبيلاً للاعتراض، وأداة للتعبير.

٣-هذا الإعلام الذى يستفز مشاعر الناس، ويصدم عقائدهم، ويحرك غرائزهم، ويشيع الفواحش فيهم، والذى يمسك بمقاليده من لا يراعون لدين الله حرمة، ولا لأهله حقوقاً، ولا لبلادهم نفعاً، ولا لأهلها فلاحاً.

وهذه المظاهر الصارخة للألوان العديدة من الفساد، الذى ضرب أطنابه فى مواقع كثيرة، وميادين شتى، ومستويات كبيرة، مثل المحسوبية، واستغلال المناصب والنفوذ فى الإثراء الفاحش والمحرم ..إلخ.

ولعل كل هذا وغيره: أصاب الشباب باليأس من الإصلاح السلمى، الذى لا يملكون له سبيلاً، فكان العنف تعبيراً عن يأسهم، وطريقاً يلفت النظر لوجوب الإصلاح فى نظرهم.

٤-إلى جانب هذا الحاضر، الذى يلفه الفساد، وتهيمن عليه التبعية، ويغشاه التخلف والانحطاط: فإن المستقبل -فيما يرون- لا يبشر إلا بمزيد من الفساد، وهوان التبعية، ومرارة التخلف والانحطاط، ويعكس كل هذا -بالتالى- رؤية قاتمة للمستقبل، الذى ينشدونه، وضياعاً لخيرية المسلمين، التى بشرهم بها رب العزة فى قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [1] ، وفقداناً لوسطية هذه الأمة،

---

[1] سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

وزعامتها على الدنيا، كما فى قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [1].

ولعل تعجلهم -كذلك- فى استشراف آفاق مستقبل باسم ناجح يعيد لهذه الأمة خيرتها، ووسطيتها، وريادتها..!!

ولعل عدم بصرهم الكامل، وفهمهم الواعى، للطريق الصحيح الذى يعين الأمة على الخروج من هذا، واستشراف ذاك، مع انسداد الطرق أمامهم، هو الذى قادهم إلى العنف وسيلة وأسلوباً.

٥-يضاف إلى ذلك: ما تقوم به الحكومات من تزييف لإرادة الأمة، واغتصاب لحقوقها فى الانتخابات العامة، وحريتها فى اختيار ممثليها.

بل يمكن أو يضاف إلى ذلك كذلك: ما تقوم به الحكومات من التضييق على مؤسسات المجتمع المدنى، التى يمكنها أن تقوم بدور فعال فى نفع هذا المجتمع وخدمة أبنائه، والتخفيف عنهم، وحلّ مشاكلهم، مما يساعدهم على التفرغ للإنتاج وتحسين مستواه، ويتم هذا التضييق والمنع بترسانات من القوانين الاستبدادية الاستفزازية، التى باطنها فيه القهر، وظاهرها من قبله الخراب، ولعل فى هذا وذاك: ما يستفز الشباب لرفضه عن طريق العنف.

كل ذلك -وغيره من الأسباب- يسد أبواب الأمل، ويغلق منافذ الرجاء، ويقتل الطموحات، أمام الشباب فى التعبير والإصلاح، ورؤية شريعة الله مطبقة مهيمنة، عن طريق الوسائل السلمية، والأساليب الديمقراطية. وفى الوقت نفسه: يفتح الباب واسعاً أمام طريق العنف على أنه الطريق الوحيد، والخيار الفريد.

وإذا كانت هذه: إشارات موجزة إلى أسباب العنف فى الواقع المعاصر ، فإن البحث يقدم حسب توفيق الله تعالى، بعض ملامح العلاج على النحو التالى.

---

[1] سورة الأعراف ، الآية ١٨١.

جـ - العلاج:

وعلاج هذه الظاهرة ليس مستحيلاً، ولا معقداً، كما أنه ليس بعيد المنال، إذا صدقت النوايا، وتغلب صوت الحق على صوت القوة، وحلَّ الحوار مكان الرصاص، وهانت مصالح الأشخاص أمام مصالح البلاد.

فأقدم فى هذا المجال بإيجاز بعض الأمور، التى أراها -بعون الله- تساهم فى علاج هذه الظاهرة [1].

أولاً: المسارعة فى تطبيق شرع الله، وجعله المهيمن على الناس وحياتهم، لتستريح النفوس، وتطمئن القلوب.

ثانياً: تجفيف منابع الفساد، وتطهير أجهزة التعليم ووسائل الثقافة والإعلام مما يخالف تعاليم الإسلام.

ثالثاً: البدء فى الإفادة من أفكار العلماء وجهود المصلحين، وخبرات السياسيين، عن طريق المشاركات الجادة، والدراسات البناءة، والحوارات العاقلة الهادفة الهادئة، بحثاً عن الخروج من نفق العنف المتبادل، الذى لا يرحم الصغير أو الكبير، ولا يفرق بين المتهم والبرىء، والذى يأتى -باستمراره وتصاعده- على الأخضر واليابس.

رابعاً: ضرورة إنشاء مراكز لبحوث ودراسات العنف، حتى يمكن تشخيص المرض بدقة، ووصف الدواء المناسب. وهذا بدوره يحتاج إلى دراسة قومية للظاهرة، وحجمها، ومستقبلها، وملامح الشخصية التى تجنح إلى العنف وخلفياتها.

خامساً: ضرورة تخلى الشباب عن تكفير المجتمع المسلم وحكامه، بحجة أنهم لا يعلمون بالإسلام، ولا ينفذون أحكامه وتعاليمه، ولأن انعدام الأعمال هو انعدام

---

[1] انظر كذلك: د. محمد السيد حبيب "الأسرة العربية" عدد ٨٤ فى ١٩٩٣/٤/١٨م ص ٦ بتصرف كبير وإضافات.

لكمال الإيمان -كما هو مذهب أئمة الحديث، وأئمة المذاهب الفقهية الثلاثة: مالك والشافعى وأحمد -وليس انعداماً لنفس الإيمان، كما يرى المعتزلة والخوارج [1].!!

ولأن هذه القضية -فى الحكم على إيمان المرء حاكماً كان أو محكوماً وعدمه- على أهميتها: قضية خلافية بين السلف الصالح من علماء الإسلام، ولأن التعصب لمذهب دون غيره، فى مثل هذه المسائل، وعدم الالتفاف إلى غيره ممقوت، ولأن هناك فى يسر الإسلام وسماحته، ومتسع الآراء فى مثل هذه القضايا الخلافية مندوحة، ولأن المجتمع حكامه لا ينكرون معلوماً من الدين بالضرورة، حتى وإن كانوا لا يعلمون بأحكام هذا الدين، ولأن المجتمع وحكامه كذلك يقولون "لا إله إلا الله" فيعصمون بذلك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها..!!

فعلى الشباب أن يأخذ بالأيسر من الآراء، وليتوكل على الله، وليستعن به وليأخذ طريقاً آخر غير العنف، فى تحقيق آماله نحو تطبيق شرع الله، وإعلاء دينه، وهذا من الفقه بالدين وبالواقع كذلك.

سادساً: ضرورة تخلى الشباب عن العنف سلاحاً فى "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"، امتثالاً -أولاً- لقوله تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [2]، وعملاً -ثانياً- "لا ينبغى إزالة المنكر بارتكاب ضرر أكبر من هذا المنكر نفسه". وإلا ضاع منا "ترتيب الأولويات"، وغاب عنا فقه "الموازنات".

وهذان أمران: ضروريان ومطلوباً فى كل من يتصدى للدعوة لدين الله، والذود عن حرماته ومقدساته.

---

[1] انظر: بيان للناس من الأزهر الشريف ١٩٩٣/١/٢٢م.

[2] سورة النحل ، الآية ١٢٥.

خاتمـــة

وأخيراً يجب التأكيد في هذه الخاتمة على عدة أمور منها:

١- أن ما يقدمه هذا البحث: رؤية لا يدعي صاحبها أنها الوحيدة في تغطية جوانب هذا الموضوع الهام، كما لا يدعي أنها كافية -وحدها- في علاج خطره وضرره، وبذلك لا يصادر على ما يراه غيره فيه، ولا ما يقدم سواه من حلول، بل يوقن صاحب البحث: أن تعدد الرؤى من الباحثين، أجدر في كشف جوانب هذا الموضوع، وأسرع في الوصول إلى حل ينقذ البلاد ويفيد العباد.

٢- أن الفروق واضحة وكبيرة بين مسميات ألفاظ ثلاثة تدور على الألسنة والأقلام في هذه الظروف، وهي: الإرهاب، والعنف والعنف المضاد.

وذلك من خيث: مفهوم كل واحد من هذه الألفاظ، وأسباب نشوئه وظهوره واستمراره، وكذلك موقف الإسلام منه، وبيان وسائل علاجه فيما يرى الباحث.

٣- أنه لن تنتهي هذه الدوامات الدائرة، والمشاكل القائمة، والمخاوف المُحبِطة بسبب هذه الأمور، التي هي موضوع البحث بسياسات تعتمد على المسكنات الوقتية، أو الحلول الجزئية.

سواء أكان ذلك من جهة بعض الشباب الذي يري -مثلاً- طريق العنف وسيلة لتغيير المنكر، وقد يقوده ذلك إلى ارتكاب منكر أشد من المنكر الذي يريد تغييره، وهذا أسلوب خاطئ كذلك.

أقول: لن تنتهي هذه الدوامات والمشاكل والمخاوف، إلا بعلاج جذري يعيد للإسلام بهاءه وعلوه، وظهوره على الدين كله، ويعيد للمسلمين عزهم وتقدمهم وخَيْرِيَّتهم وريادتهم للدنيا كلها.

ولن يكون ذلك: إلا بالبدء الجاد في أسلمة الحياة، على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي" وفي رواية أخرى: "لن تضلوا ما تمسكتم بهما" (١).

---

(١) رواه: الحاكم في المستدرك، ومالك في الموطأ "كتاب: القدر"